لكن هذا التخلي بالذات في الوقت الذي يعبر فيه عن عجز بنيوي في القيادة النظرية ، معبرا عن الحد الذي يمكن لهذه القيادة ان تصل اليه في تمثيل سواها ، يضع ايضا هذه القيادة في موقع التنازل عن موقعها لقيادة اخرى ( عملية ) ترضخ لها وتنزع بذلك عنها صفة التمايز في الاستقلالية والقوة التي كانت في صلب تمثيلها للاخرين ٠

الا ان بنية عامة كهذه ليست الا بنية موت ٠

فحين يسلم القاصرون والعجزة امرهم الى شباب لا يحول وعيه وتجربته دونه ودون التخلي عن هذه المسؤولية ـ بل ان حدود وعيه وتجربته هي التي تدفعه الى هذا التخلي ـ الى رجولة مخصية ، فلا يمكن لهذه الرجولة ان تؤدي الا الى ما تحمله في بنيتها ذاتها : العدم ٠

لذلك فان موت الفلسطينيين الثلاثة جاء يتفق مع تركهم لارضهم وانقطاعهم عنها ، ليس كما تأسس ذلك عام ١٩٤٨ ، بل ايضا كما يستمر ذلك عام ١٩٥٨ ، وخاصة بشكله الاكثر انغماسا وانخراطا في هذا الانقطاع ـ هذا الاتصال بالغير ارضا وشعبا ـ بالسفر ٠٠ واذ يبقى ابو الخيزران وحده ، فهو يبقى عقيما ، موتا مع وقف التنفيذ ، موتا مساهما في القتل والتبديد والعدمية ، موتا اسوأ من الموت الذي انتهى اليه سواه ٠٠٠

بقي هذا المدى الذي تشرعه الفكرة المفاجئة الاخيرة التي انزلقت من رأس ابي الخيزران ثم تدحرجت على لسانه :

ـ « لماذا لم يدقوا جدران الخزان ؟ ٠٠٠ » (١٥٢) ٠

فهذا السؤال الذي لا يتيح النص استجلاء الملابسات المحيطة به : هل هو استفهامي ام استنكاري ام تبريري ٠٠٠؟ ويستدعي جوابا او اجوبة لا يقدمها النص كذلك ، على انه يختتم بتكرار هذا السؤال مرات عدة ، او بالاحرى لا يقدمها النص اثره وان كان يتضمنها قبله بشكل او بآخر ، يتضمن في البنية التي اتاحت وجودهم في هذا الخزان بالذات ٠

فجميع هؤلاء المسافرين الثلاثة كانوا يعانون وضعا معيشيا بالغ الصعوبة :

مروان الذي طلق ابوه امه بعد انقطاع اخبار اخيه زكريا الموجود في الكويت ومعها المثني روبية التي كان يرسلها الى العائلة شهريا ، ليتزوج من شفيقة المبتورة الساق ليعيش « ما تبقى له من الحياة مستقرا غير ملاحق بأيما شيء ٠٠ واهم من ذلك ٠٠ تحت سقف من اسمنت ٠٠ » كان كل طموحه طيلة عشر سنوات ، وبالتالي عليه هو الان اطعام امه واخوته الاربعة وتأمين حاجياتهم ( ٧٩ـ٨٠ ) ٠

ابو قيس الذي امضى « عشر سنوات كبيرة جائعا » يأكل من « طحين الاعاشة الذي تهرق من اجل كيلو واحد منه كل كرامتك على اعتاب الموظفين » ، وينزل في نصف غرفة مع زوجته وولده قيس منذ تسع سنوات ، واخيرا مع طفل جديد اخر ٠٠٠ ( ٤٦ـ٤٧ـ١٣٠ )